النفس والرقص

للكاتب الشاعر الفرنسي العظيم بول فاليري

ترجمة الدكتور طه حسين

اركسماك — هي المدهشة، هي البالغة غاية الابداع في الرقص (انكتيه)

فيدر — ما أعرفك بهن!

اركسماك — لكل هؤلاء الحسان أسماء كثيرة اخرى بعضها يأتيهن من الاسرة، وبعضها يأتي من الاخصاء.

فيدر — انت أخص هؤلاء الأخصاء!.. تعرفهن اكثر مما ينبغي!

اركسماك — انا اعرفهن اكثر جدا من المعرفة الحسنة (١)؛ ومن بعض الانحاء أحسن مما يعرفن انفسهن. اي فيدر! الست انا الطبيب؟ عندي وفي تحليل اسرار الطب كلها؛ اسرارا تشترى بها كل أسرار الراقصة! (٢) هن يدعونني لكل شيء، يدعونني لانواء القدم، وللدمل، وللذهول، ولما يمس القلب من حزن، وللاحداث المختلفة التي تصيبهن من الصناعة (وهذه الاحداث الجوهرية التي تنتج في سهولة من مهنة شديدة الحركة) وضيقهن الخفي، حتى الغيرة سواء أكان مصدرها الفن او الغرام، وحتى للحلم.. اتعلم انه يكفي ان يسررن الى ببعض ما يقلقهن من الاحلام لاستنبط من ذلك ان في بعض اسنانهن فسادا؟

سقراط — يالك من رجل خليق بالاعجاب يعرف الاسنان بالاحلام! اتظن ان اسنان الفلاسفة كلها فاسدة؟

اركسماك — لتحمني الآلهة من عض سقراط؟ (٣)

فيدر — دع هذا وانظر الى هذه الاذرع والسوق التي لاتحصى! عدد ضئيل من النساء يظهر الفيء (٤)، الف مشعل، الف رواق معمد قليل البقاء، عروشا، عمدا.. الصور تذوب تتمحى. انما هي جماعة من الشجر حسان الغصون يهزها نسيم الموسيقى! أترى يا اركسماك ان هناك حلما يصور من الألم واضطراب العقل اكثر مما يصور هذا الذي نراه الآن؟

(١) يريد ان عنده بشؤونهن ارضع واعمق من المألوف

(٢) يريد ان خبرته بالعلل وعلاجها تمكنه من أن يظهر على اسرارهن وتمنعهن ان يخفين عليه شيئا

(٣) اي من نقده اللاذع

(٤) يريد ان ما يأتين من الحركات المتصلة السريعة يظهر اشكالا كثيرة جدا أكثر من عددهن

سقراط — ولكن هذا الذي نراه اذا حققت ابعد الاشياء عن الحلم اي فيدر العزيز

فيدر — ولكني انا حالم.. حالم بالعذوبة تضاعف قسوتها بنفسها الى غير حد، بما يكون بين هؤلاء العذارى من التلاقي ومن تبادل الصور. حالم بهذا التماس الذي لا يوصف والذي يحدث في النفس بين الازمنة، بين رياض الاذرع واشتباكها بمقدار، واصوات هذه الانغام المؤتلفة الخافتة والتي يظهر عليها كل شيء كأنه مصور محمول. تنفس اختلاط هؤلاء الفتيات الساحات كأنه شذى مسكي مركب، ويهيم محضري في هذا الظرف المختلط حيث تضل كل واحدة منهن مع رفيقة ثم تظهر مع رفيقة أخرى

سقراط — ان نفسك لمفتونة باللذة، انما تراه لنقيض الحلم لا أثر للمصادفة فيه.. ولكن نقيض الحلم ماهو يافيدر؟ انما هو حلم آخر! حلم تنبه ويقظة يحلله العقل نفسه! — وماذا يمكن ان يحلل العقل؟ لو حلم العقل صلبا قائما (١) مثلج العين مطبق الفم كأنه سيد شفتيه — فالحلم الذي يراه هل يكون الا شيئا كالذي نراه الآن — هذا العالم من القوة الدقيقة والتخيل المتعمد في عناية واتقان! حلم، ولكنه حلم يملؤه التناسق كله نظام: كله فعل وغناء (٢).. من يدري اي القوانين المقدسة «٣» تحلم هنا الآن وقد اتخذت وجوها نضرة «٤» واتفقت على ان تظهر للناس كيف تستطيع الاشياء الواقعة وغير الواقعة والمعقولة ان تمتزج وتأتلف حسب ما لآلهة الفن من مقدرة؟

اركسماك — من الحق ياسقراط ان كنز هذه الصور لا يقدر.. الا تظن ان فكرة الآلهة (٥) هي بالضبط ما ترى وان هذا التشابه الفخم الى غير حد. هذا التدابر والتقابل والتقاطع (٦) التي لا تنتهي والتي تظهر لاعيننا ينقلنا الى عالم المعرفة الالهية؟

فيدر — ما أجمل ما اظرفه هذا المعبد الصغير الوردي المستدير الذي يؤلفنه الآن والذي يدور في بطء كأنه الليل! انه ليتفرق فتيات «٧» ان الاردية لتطاير وكان الآلهة قد غيروا من تفكيرهم

١ — يريد به عقلا يقظا ينظر ويفكر في جد وحزم.

٢ — يريد كله حقائق واقعة ونظام بديع.

٣ — يريد القوانين العليا التي تدبر أمور الكون

٤ — هي وجوه الراقصات. يريد انهن يمثلن القوانين العليا بما يبدين من الفن

٥ — يريد ان هذه الاشكال الفنية العليا تمثل ما في القوانين الازلية من نظام وجمال.

٦ — يشير الى حركات الراقصات فيما بينهن

٧ — يريد انهن قد الفن فيما بينهن شكلا يصور معبدا يدور ثم تفرقن فعادت كل واحدة منهن مثنى كما كانت.

أركسياك ـ إن الفكرة الالهية الآن هى هذه الجماعات الكثيرة المختلفة الالوان من الوجوه الباسمة . أنها تبدى المعاد من هذه الحركات الحدة وهذه العواصف اللذيذة التى تتألف من جسمين أو ثلاثة أجسام (١) ثم لا تستطيع أن تفترق . . . لقد وقعت احداهن فيما يشبه الاسر (٢) فلن تخرج من سلاسلهن السحرية !

سقراط ـ ولكن ماذا يصنعن بغتة ؟ . . . انهن ليختلطن ، ثم يمضين مسرعات ! . . .

فيدر ـ هن يطرن الى الأبواب ، يحنين ليستقبلن

أركسياك ـ اى اتكتيه ! اى اتكتيه ! . . . باللاهة ! . . . اتكتيه الخافقة !

سقراط ـ ليست شيئاً .

فيدر ـ هى طائر صغير

سقراط ـ شيء لا جسم له !

اركسياك ـ شيء لا ثمن له !

فيدر ـ أى سقراط ! كأنها تطيع اشكالا لاترى !

سقراط ـ أو تذعن لقضاء جليل !

اركسياك ـ أنظر ! أنظر ! أترى أنها تبدى بمشى الاهى ؛ مشى يسير مستدير . . تبدى بأرق ما عندها من الفن ، تمشى فى يسر على ما انتهت اليه من القمة (٣) ! طبيعتها الثانية هذه أبعدما تكون عن طبيعتها الأولى ، ولكن يجب أن تشبهها (٤) ، حتى تخدعنا عنها .

سقراط ـ انى لاستمتع الى أقصى حد بهذه الحرية . أن صاحباتها الآن لمستقرات كأنهن مسحورات (٥) . وأن الموسيقيات ليسمعن لأنفسهن دون أن يحولن أبصارهن عنها . . . يمتزجن بها كأنما يامحن فى كمال التوقيع .

فيدر ـ احداهن كأنها المرجانة الوردية قد انعطفت على نفسها وهى تنفخ فى قوقعة عظيمة .

اركسياك ـ صاحبة المزمار هذه العالية فى الطول ذات الفخذين النحيفتين كأنهما المغزلان ، قد لفت احداهما على الآخرى ، ومدت قدمها الظريفة الى تخفق أبهامها بوزن الموسيقى . . . أى سقراط ما ترى فى هذه الراقصة ؟

سقراط ـ أى اركسياك هذه المخلوقة الصغيرة تدعو الى التفكير . . أنها تجمع على نفسها انها تحتمل جلالا كان مفرقا فينا جميعا (١) وكان يحل غير مشعور به كل الذين يشتركون فى هذا اللهو . مشى يسير ، راقصة هى الاهة ، واذا نحن جميعا كانا الآلهة ! . . . مشى يسير ايسر التساوى كأنها تأجر الفضاء بأعمال جميلة متساوية وتضرب بعقبها حركات كالدنانير ذات الرنين . كأنما تعد وتحصى فى قطع من الذهب الخالص ما ننفقه نحن غافلين نقدا عاديا من الخطوات حين نسعى لأى غاية من الغايات

أركسياك ـ أيها العزيز سقراط . انها تعلمنا ما نعمل ، مظهرة لنفوسنا فى جلاء ما تأتى أجسامنا من الحركات ، تظهر لنا ساقاها حركاتنا كأنها المحجرات . ثم هى تدهشنا بمقدار ما ينبغى أن ندهش (٢)

فيدر ـ فى أى شيء تمتاز هذه الراقصة عندك يشيء سقراطى ، فتعلمنا من المشى كيف نعرف أنفسنا باننا خيراً مما كنا نعرفها ،

أركسياك ـ فى هذا بالضبط وهو أن خطواتنا تبلغ من اليسر والالف حدا لا نشرفها معه بملاحظتها فى أنفسها ومن حيث هى أعمال غريبة الا أن يكون أحدنا مقعداً أو مريضاً فيضطره العجز الى الاعجاب بها ـ واذن فهن يحملننا كما يعرفن ، ونحن نجهلهن ، وهن يختلفن باختلاف الأرض والغاية والاخلاق والاحوال (٣) بل وضوح الطريق ، ونحن ننفقهن فى غير تفكير .

ولكن انظر الى هذا المشى التوقيعى الكامل . تمشيه اتكتيه على ارض لاعيب فيها ، وهى حرة صريحة تكاد تكون معرفة (٤) تصعد فى تناسق على مرآة قوتها قدميها متتابعتين ، عقبها يصب جسمها نحو مقدمة رجلها ، ثم تمر رجلها الاخرى فتلقى الجسم وتصبه الى امام ، وهكذا

«١» ـ يريد انها تصور بفنها كل الخطوط المتفرقة فيما أفراد الحاضرين من حب الجمال والطموح الى المثل الاعلى فيه .

«٢» ـ يشير الى ان المعرفة استكشاف يثير الدهش لاول العهد به .

«٣» ـ يريد ان خطواتنا تختلف فيما بينها وتتفاوت باختلاف هذه الاشياء جميعا فهى على الارض المستوية غيرها على الارض المعوجة وخطوات الرجل ذى المزاج المعتدل والخلق الحسن غير خطوات الرجل ذى المزاج الحاد والخلق السيء . وخطوات الرجل الذى يسعى الى غاية يحبها غير خطوات الرجل الذى يسعى الى غاية يكرهها .

«٤» ـ يريد انها متئدة مقتصدة فى الحركة . تميل الى الوقار اكثر مما تميل الى الخفة .

«١» يشير الى بعض ما تأتى الراقصات من الحركات وما يؤلفن من الاشكال .

«٢» احظن بها فى لا تستطيع ان تفلت منهن .

«٣» يريد انها تبلغ اقصى غايات الاجادة فى غير مشقة ولا تكلف

«٤» يريد ان طبيعتها الثانية مهما تختلف فهى متشابهة ومهما تأتلف فهى مختلفة أى ان فنها متمثل فى وقت واحد على الوحدة والتنوع .

«٥» ـ يريد انهن مسحورات بالرقص الذى يريته منها والموسيقى التى يسمعنها من أنفسهن .

(البقية على صفحة ٤٢)